حوار..

بقلم : احمد طلعت

الحرية..والكرامة..!!

ظلت القضية الفلسطينية لما يقرب من نصف قرن موضوع مزايدة في العالم العربى،فقد (زايد)عليها الحكام العرب فيما بينهم للتنافس على الزعامة،وزايدوا عليها امام شعوبهم ليشغلوهم بها عن الحكم المطلق الذى مارسوه (وليخلقوا)قضية يوجهوا اليهاغضب الشعب بدلا من ان يتجه هذا الغضب نحوهم ونحو انظمتهم.ولقد سمعنا- هنا فى مصر - شعارا يقول بانه لاصوت يعلو على صوت المعركة،وبذلك استراح الذى اطلق هذا الشعار من اصوات المطالبين بالحريات السياسية،والحكم الديمقراطى،وسيادة الشعب،بل ان النظام الشمولى اتهم المطالبين بالحرية وبالديمقراطية بانهم من (أعداء الشعب)واعوان الرجعية وعملاء الامبريالية،الى غير ذلك من الشعارات التى (تفوق)الطغاة فى اختراعها لتشويه الوطنيين وممارسة الارهاب الفكرى ضد اصحاب الراى،حتى لا يرتفع صوت الا صوت الطاغية،ولايسمع احد رأيا الارأى الحاكم الفرد.

بل ان القضية الفلسطينية قد ظلت طوال الخمسين عاما الماضية موضوع مزايدة بين الاطراف الفلسطينية المتنافسة فيما بينهاعلى السلطة وعلى تمثيل الشعب الفلسطينى الى حد التصفيات الجسدية،فضلا عن الاتهامات المتبادلة بالخيانة والعمالة (وقبض)الاموال من هنا وهناك.ولقد تحملت مصر النصيب الأكبر من هذه المزايدات،فاذا اصدر الملك السابق فاروق اوامره بدخول الجيش المصرى حرب فلسطين الأولى عام١٩٤٨،فمصر فى رأى (الاخوة العرب) قلعة العروبة وحصنها المنيع،اما اذا التزمت مصر بقرارات مجلس الأمن بوقف اطلاق النار،فهى فى رأى (الاخوة العرب)قد خضعت للقوى الكبرى وخانت القضية !!واذا (تورطت) مصر فى حرب عام١٩٥٦بعد تأميم قناة السويس،وحرب عام١٩٦٧بعد خديعة الاتحاد السوفيتى وعجز اجهزة المخابرات فيها،فان مصر فى رأى (الاخوة العرب) تؤدى دورها التاريخى من اجل القضية الفلسطينية،لكنها عندما تستنزف موارد شعبها فى هذه الحروب،وتفقد آلاف الضحايا من ابنائها فانها فى رأى (الاخوة العرب)كانت تدافع عن (نفسها)ضد المطامع التوسعية الاسرائيلية والتهديد الصهيونى بالوصول الى مجرى النيل..!!وعندما حققت مصر نصرا عسكريا مذهلا فى حرب اكتوبر،لامها بعض (الاخوة العرب)لأنها لم تطلعهم على خططها وتعرض امنها وسلامة جنودها للخطر،ثم لامها (الاخوة العرب)لانها توقفت عن القتال قبل ان تصل جيوشها الى تل ابيب لتلقى باليهود فى البحر !!وتقدم ارض فلسطين باكملها الى الذين لم يحاربوا على صنية من الفضة،حتى لو غامرت من اجل ذلك بشعبها كله وبأرضها كلها ..!!أما (المزايدة) الكبرى فكانت عندما وقعت مصر مع اسرائيل معاهدة كامب ديفيد التى استردت بها جميع ارضها المحتلة،ووضعت من خلالها اسس الحل الشامل والعادل للقضية الفلسطينية،بما فى ذلك حق الشعب الفلسطينى فى دولته المستقلة ..!!وارتفعت فى سماء العالم العربى شعارات الصمود والتصدى،والحلول التصفوية،والاتفاقات الانفرادية،الى غير ذلك من العبارات الرنانة التى لا تعيد شبرا واحدا من الارض المحتلة لاصحابه أوتساهم ولوبخطوة واحدة نحو حل النزاع،وقيل - وقتها - عن تحرير سيناء ان مصر قايضت المبادئ بحفنة من الرمال ..!! وفى يوم ١٣سبتمبر من عام١٩٩٣وقع الفلسطينيون والاسرائيليون اتفاق السلام فوق نفس المائدة التى وقعت عليها معاهدة كامب ديفيد،وعلى نفس الاسس التى تضمنتها فيما يتعلق بالحكم الذاتى كخطوة نحو تقرير المصير،لكن الفارق الوحيد كان فى السنوات الاربعة عشرة التى ضاعت فى (المزايدة)وفى الاتهامات بالخيانة،وبالخضوع للولايات المتحدة الامريكية،التى قدم اليها الفلسطينيون الشكر كل الشكر يوم١٣سبتمبرعام١٩٩٣ من فوق المنصة المقامة فى حديقة البيت الابيض ..!!ومع ذلك فلننس كل ما فات بحلوه ومره،وليكن شعارنا للمستقبل انه لاصوت يعلو على صوت بناء مصر،ولاهدف يتقدم على هدف الحرية الكاملة والديمقراطية الحقيقية لشعب مصر،فلم تعد هناك ولم تعد هناك (مزايدة)وانما بقى فقط شعب يناضل من اجل الحرية والكرامة.واذا كانت مصر هى مفتاح السلم والحرب فى المنطقة العربية،فانها يجب ان تكون - من باب اولى - النموذج والقدوة فى التحضر وفى الديمقراطية وان لا تترك هذا الدور لتنفرد به اسرائيل ..!